شهادة
الدكتورة هند أبو الشعر في عيون طلابها

د. إيهاب زاهر*

في البداية، تعد شهادتي عن أستاذتنا ذات أهمية كبيرة؛ لكوني كنت أكثر الطلبة المقربين من الدكتورة هند أبو الشعر طوال معرفتي بها منذ العام ٢٠٠٩م وحتى يومنا هذا، حيث كنت على تواصل دائم ومستمر معها طوال هذه المدة.

كان أول لقاء لي مع أستاذتنا الدكتورة هند أبو الشعر التي أعتز بها وأفتخر، في جامعة آل البيت، عندما سجلت عندها مساق تاريخ العرب الحديث، وهي من المواد التي تعد صعبة لدى الطلبة، وكانت أول محاضرة لنا عند أستاذتنا بعنوان: العرب والأتراك ونشأة الدولة العثمانية، بتاريخ ٦/ ٩/ ٢٠٠٩، وقد سعدت جدًّا بالمحاضرة وأسلوب أستاذتنا الشيق في التدريس، وإثارة دافعيتي لأن أحضّر معها الدرس مسبقًا، وبالفعل بدأت أطالع العديد من المقالات والكتابات حول تاريخ العرب الحديث؛ لأن أستاذتنا كانت تثير التساؤلات، الأمر الذي فرض علي أن أكون السباق في الإجابة عنها. وبالفعل؛ تفوقت على رفاقي في المشاركة،

* مشرف تربوي في وزارة التربية والتعليم ومحاضر غير متفرغ في الجامعة الأردنية.

ولم أغب عن محاضراتها سوى يوم واحد فقط هو يوم بادرت فيه بعمل ندوة لطلبة قسم التاريخ كان موعدها متزامنًا مع موعد المحاضرة، وعنوانها «الخرافة والأسطورة في التاريخ»، ووجهت دعوة لأستاذتنا لحضورها، وشكرتني، وأبدت إعجابها باجتهادي، لكوني طالب بكالوريوس في مقتبل العمر يقوم بتقديم ندوات، وكنت سعيدًا بذلك.

وكانت أستاذتنا الدكتورة هند أبو الشعر ملهمة لي؛ فقمت بتأليف كتاب وأنا في السنة الثالثة من البكالوريوس، وبالفعل بدأت أجلس ساعات طويلة في قاعة المصادر التاريخية، وأجمع المعلومات من عشرين مصدرًا، ثم قمت بصياغتها بشكل خطي، وقد مكثت في تأليف الكتاب مدة أربعة أشهر، ثم وضعت المقدمة والعنوان والخاتمة، وكان موضوع كتابي يتحدث عن الثورات في صدر الإسلام، وأتممت الكتاب مطلع العام ٢٠١١م، وهو العام الذي بدأ يشهد ثورات الربيع العربي التي كانت بدايتها في تونس، وأول شيء قمت بعمله، بعد الانتهاء من تأليف الكتاب، عرضه على أستاذتي الدكتورة هند أبو الشعر؛ لأنها تقدر هذه الأعمال وهذه الجهود؛ ولأنها كانت مصدر ثقة لنا، ومصداقية، وتثير الدافعية لدى الطلبة، وهذا ما لمسته، وأخبرتني بأنه لا بد من إكمال دراسة الماجستير من أجل تعزيز الكتاب بالمنهجية السليمة في الكتابة التاريخية، وبالفعل هذا ما اكتشفته عندما أتممت الماجستير، حيث اختلفت لدي النظرة.

الدكتورة هند: الإنسانة والأكاديمية البارعة والقدوة

كانت أستاذتنا، دومًا، تتعامل بخلق وتهذيب وإنسانية مع طلبتها، وقد لاحظت ذلك من تعاملها الراقي والطيب مع الطلبة، ومن كلامها الجميل، ومن مراعاتها لحاجات الطلبة، وتجاوزها عن عثراتهم. كانت متواضعة مع الطلبة، وتستمع إليهم، ولا تبخل بنصائحها

وإرشاداتها دائماً خلال محاضراتها، وتمتاز بغزارة علمها، ونالت الدكتورة هند محبة الجميع، حتى إن بعض الطلبة قام برسمها في لوحة فنية رائعة نالت إعجابها.

ولطالما كانت محاضراتها شيقة، تخلو من الجمود والملل والرتابة، التي نجدها عند بعض مدرسي التاريخ، بل تثير الدافعية وتحفز الطلبة على التفكير، والمناقشة والحوار، وتبتعد عن التلقين، ولامست، في أسلوبها التدريسي مناطق التشويق والنشاط، حتى إن وقت المحاضرة كان يمضي بسرعة.

وعندما أكملت دراسة الماجستير في جامعة آل البيت، سجلت العديد من المواد لدى أستاذتي الدكتورة هند، ليس من أجل الحصول على العلامات، وإنما للحصول على العلم والمعرفة، والمنهجية السليمة، والقدوة، وكانت محاضراتنا عند أستاذتي تعقد في مكتبها في مجلة البيان، وكانت من أجمل المحاضرات، حيث كنا عندما نصل تستقبلنا بالضيافة الحاضرة دومًا في مكتبها، والمتمثلة بالكعك المحلى والقهوة، بالإضافة إلى الهدايا من أعداد مجلة البيان، وكانت تشجعنا على الكتابة ونشر أعمالنا فيها.

كانت محاضراتنا في الماجستير مختلفة عن البكالوريوس، كنا ثلاثة طلاب، وسنحت لي الفرصة آنذاك للتعرف أكثر على أستاذتنا، لا سيما عندما أصبحت أنجذب للكتابة في تاريخ العرب الحديث، وهذا يعني لي أنني كنت أسير على الخط نفسه مع تخصص أستاذتي، ما جعلني سعيداً بإشرافها على رسالة الماجستير.

ولاحظت، أثناء حضور المحاضرات عندها، علاقاتها الطيبة والودية مع جميع المحيطين بها، ومنها علاقتها الودية مع موظفة مجلة البيان أم طارق، وكذلك مع الموظف في مكتبة الجامعة الأردنية عبد الناصر الحوامدة، وهذا الأسلوب كان يسري على الجميع، سواء كان زميلًا أو طالبًا أو موظفًا في الجامعة.

واستفدت من أسلوب أستاذتي وطريقتها في إيصال المعلومة، وتدريبها لنا على كيفية التعامل مع الروايات التاريخية، وتحليلها، وتطبيق ذلك أمامها، ولا تكتفي بذلك؛ فكانت تناقشنا بما توصلنا إليه من استنتاجات، وتثير التساؤلات والشكوك لدينا في تدريسها، وتدربنا على التعامل مع رواة المصادر التاريخية.

وفي مرحلة الماجستير، عندما باشرت في إعداد رسالة الماجستير مع الدكتورة هند أبو الشعر، طلبت منا عرض أفكارنا حول توجهاتنا في الكتابة، وأخبرتها عن نيتي الكتابة في تاريخ العرب الحديث، وتحديدًا عن موضوع يتناول بلاد الشام خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي؛ أي أواخر العهد المملوكي، ومطلع العهد العثماني، وأن يكون مصدري تراجم نجم الدين الغزي، فأعجبت أستاذتي بالفكرة، وشجعتني على التقصي أولًا، وطلبت مني إعداد مسح لمصدر الدراسة، والمعلومات التي سأقدمها، ثم عمل خطة الدراسة، وأخبرتني أن الاعتماد على كتاب من كتب التراجم ذو أهمية كبيرة في الدراسات التاريخية التي تعتمد كتب التراجم كمصدر أساسي، وأن دراستي ستكون من الدراسات الرائدة، وتشربت منها المنهجية في كتابة التاريخ الحديث ومصادره، وطريقة جمع المعلومات، وترتيبها في عناوين فرعية، وصياغتها، والكتابة في موضوعات متنوعة في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والفكري، وتوظيف الجداول والأشكال والمخططات البيانية في إعداد أبحاثنا، وتحليلها.

وبالفعل؛ شاركنا أستاذتنا الدكتورة هند في تأسيس مدرسة تاريخية في قسم التاريخ – جامعة آل البيت وهي مدرسة التراجم، وأشرفت الدكتورة على دراسات عدة اعتمدت كتب التراجم كمصدر أساسي في رسالة الماجستير، وكانت هي السباقة في هذا الإنجاز المهم في حقل الدراسات الأكاديمية التاريخية، في جامعة آل البيت. وكان من أبرز هذه الدراسات،

دراستي للحياة الاجتماعية والفكرية في بلاد الشام خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي بعنوان «تراجم نجم الدين الغزي مصدرًا»، ودراسة أحد الطلاب عن تراجم البوريني، ودراسة محمد الخزاعلة عن تراجم ابن كنان، ودراسة الطالب علي السردي عن تراجم المحبي.

والدكتورة هند أبو الشعر ما زالت كما كانت على تواصل دائم معنا، وبابها مفتوح للطلبة، فعلاقتها بهم ليست علاقة محصورة بين الجدران في المحاضرة، بل تتعداها، فكنا على الدوام نستشيرها، ونستفيد من خبرتها، ونزورها في بيتها، وفي مركز الوثائق والمخطوطات، ونتبادل المعلومات عبر البريد الإلكتروني، وأيضًا كانت تشركنا في الندوات والمؤتمرات، وتشجعنا على المشاركة فيها، مثل توجيه دعوة لي لحضور ندوة مئوية الحكومة العربية الفيصلية العام ٢٠١٨م، والتي أقيمت في مجلس الأمانة. ومن المواقف الإنسانية للدكتورة قراءة أعمال الطلبة البحثية وخططهم، وتقديم النصح والإرشاد في المنهجية، والمراجع والمصادر الداعمة لأعمال الطلبة البحثية، وتوفير الكتب لهم. ومن المواقف التي شهدتها استقبالها للطالب محمد هاني عنبر، والطالب عبد الرحمن المشاقبة اللذين كانا يأتيان لاستشارتها في اختيار موضوعات ومصادر أبحاثهما، كما تعدى دعمها ذلك إلى توفير فرص عمل تدعم الطلبة لتغطية نفقاتهم، فقد سعت لتوفير فرصة عمل لأحد الطلبة في إحدى دور النشر.